الحلف بالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ

كتبه:

أبو محمد عبد الحميد بن يحيى بن زيد الحجوري الزعكري

كان الله له في الدنيا والآخرة

بسم الله الرحمن الرحيم

حكم الحلف بالنبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ

الحمد لله الحميد المجيد، حمدًا يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيمًا لشأنه، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ، ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران]

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [النساء].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأحزاب].

أيها الناس اعلموا أن الله خلقنا لعبادته وطاعته فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ٢١﴾ [البقرة]، وقال: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ٥٦﴾ [الذاريات]، وقال: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ

وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [النساء]، وقال: ﴿قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [الأنعام:١٥١].

ولما وقع الناس في مخالفة التوحيد الذي خلقهم الله لإقامته؛ أرسل إليهم رسلًا مبشرين للموحدين بالجنة؛ ومنذرين لمن خالف بالنار، قَالَ تَعَالَى: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾﴾ [النساء]، وقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ﴾ [النحل:٣٦]، فكان الناس صنفين؛ منهم من هدى الله إلى الصراط المستقيم والطريق القويم، ومنهم من أخلد إلى هوى نفسه ومتابعة الشيطان، فحقت عليهم الضلالة، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ۚ﴾ [النحل:٣٦]، ولما كان من أعظم أسباب ضلال الناس الجهل بدين الله ﷻ أحببت أن أكتب هذه الوريقات في التنبيه على مسألة عظيمة وهي: الحلف بغير الله ﷻ، حيث استشرى هذا المنكر العظيم في معظم بلاد المسلمين؛ مع اختلاف الناس في المحلوف به، فبعضهم يحلف بالنبي ﷺ وهذا لاحظنا وجوده في بلاد مصر - عمَّرها الله بالتوحيد والاستقامة - فتجد أحدهم يكثر من قوله: (والنبي)، وتارة يحلفون بحياة الأشخاص المخلوقين المربوبين؛ فيقول أحدهم: (وحياتك)، (وحياة رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ) وبعضهم يحلف بأصحاب القبور، فيقول أحدهم: (بالحسين)، أو (والحسين)، وآخر (بالهادي)، أو (والهادي)، وقد قال ابن عباس رضي الله عنه في تفسير قوله تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾

[البقرة]: الْأَنْدَادُ هُوَ الشِّرْكُ، أَخْفَى مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ عَلَى صَفَاةٍ سَوْدَاءَ فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ، وَهُوَ أَنْ يَقُولَ: وَاللَّهِ، وَحَيَاتِكَ يَا فُلَانَةُ، وَحَيَاتِي. اهـ.

إلى غير ذلك، فأحببت أن أكتب محذرًا ومنذرًا من مغبة هذا الصنيع؛ سائلًا المولى ﷻ أن ينفع بها في المحيا وبعد الممات إنه سميع قريب مجيب الدعوات.

تعريف العبادة

أحسن تعريف لها وأجمعه ما عرفها به شيخ الإسلام ابن تيمية؛ بأنها اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه.

فصرف شيء من العبادات لغير الله ﷻ يعتبر شركًا، والشرك من كبائر الذنوب، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء:٤٨]، وقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ١٣﴾ [لقمان]، وقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ٧٢﴾ [المائدة]، وفي الحديث: «**مَنْ مَاتَ يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا دَخَلَ النَّارَ**» أخرجه مسلم، عَنْ جَابِرٍ، وابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنهما، والله ﷻ غني حميد؛ وغناه غنى ذاتي، قَالَ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ١٥﴾ [فاطر]، وفي الحديث القدسي «**أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي، تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ**» أخرجه مسلم، عن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه.

والشرك ينقسم إلى قسمين:

أ- شرك أكبر: وهو مخرج من الملة ومُذهبٌ لأصل الإيمان، ويحبط جميع الأعمال، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾﴾ [الفرقان]، وقال: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [الزمر]، وفي حديث عَائِشَةَ رضي الله عنها، عند مسلم، قالت: يَا رَسُولَ اللهِ، ابْنُ جُدْعَانَ كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ يَصِلُ الرَّحِمَ، وَيُطْعِمُ الْمِسْكِينَ، فَهَلْ ذَاكَ نَافِعُهُ؟ قَالَ: «**لَا يَنْفَعُهُ، إِنَّهُ لَمْ يَقُلْ يَوْمًا: رَبِّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ**»، وصاحبه مخلدٌ في النار لا يقبل الله ﷻ منه يوم القيامة صرفًا ولا عدلًا.

ب- وشرك أصغر: يحبط به العمل الذي قارنه ويبقى معه مسمى الإيمان، وصاحبه لا يخلد في النار ولا يُخرج صاحبه من الملة إلا أنه من أعظم الكبائر؛ وليس بداخل تحت المشيئة على الصحيح من أقوال أهل العلم، معنى ذلك أنه من مات على شيء من أنواع الشرك لابد من دخوله النار؛ عائذًا بالله منها؛ فإن كان شركه أكبر خُلد فيها، ومن كان شركه أصغر عُذب بقدر جريرته وذنبه، ثم يخرج منها؛ فعلى هذا يجب علينا جميعًا أن نتعاهد توحيدنا للهِ ربِّ العالمين، ونكون كما قال الله: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ [الأنعام]، ونتعاهد أنفسنا بالتوبة العامة والخاصة بين الحين والآخر للتخلص من معرات الذنوب صغيرها وكبيرها، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾﴾ [النور]، وفي الحديث المأثور: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أُشْرِكَ**

بِكَ وَأَنَا أَعْلَمُ، وَأَسْتَغْفِرُكَ لِمَا لَا أَعْلَمُ»، وعلى العبد المؤمن أن يخاف من الوقوع في الشرك الذي خافه إبراهيم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فقال: ﴿وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾﴾ [إبراهيم]، وكان رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يقول: «... **وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْفَقْرِ وَالْكُفْرِ، وَالشِّرْكِ وَالنِّفَاقِ**»، أخرجه ابن حبان عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وكان يقول: «**اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْكُفْرِ، وَالْفَقْرِ، وَعَذَابِ الْقَبْرِ**» أخرجه أحمد عَنْ مُسْلِمِ بْنِ أَبِي بَكَرَةَ، عَنْ أَبِيهِ.

ومن أسباب السلامة من الشرك أيضًا معرفة التوحيد فيُلزم، والشرك فيحذر، وكما قيل:

عَرَفْتُ الشَّرَّ لا لِلشَّــرِّ لَكِنْ لِتَوَقِّيهِ

وَمَنْ لَمْ يَعْرِفِ الشَّرَّ منَ الخَيْرِ يقعْ فيهِ

ومن هذا الباب اعلم أن الحلف عبادة لا يجوز صرفها لغير الله عَزَّ وَجَلَّ، ومن صرفها لغير الله عَزَّ وَجَلَّ فقد أشرك، ففي حديث ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا؛ عند الترمذي وغيره: «**مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللهِ فَقَدْ أَشْرَكَ**»، الحديث في سنده سعيد بن عبيد لم يسمعه من ابن عمر، لكن الحديث له شواهد كثيرة في معناه تدل عليه.

والحلف بغير الله عَزَّ وَجَلَّ من حيث هو شرك أصغر لكن إذا اقترن بالحلف تعظيم المحلوف به صار شركًا أكبر مخرج من الملة، ومما يدل على أن الحلف بغير الله عَزَّ وَجَلَّ شرك حديث قتيلة عند النسائي وغيره، أَنَّ يَهُودِيًّا، أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: إِنَّكُمْ تُنَدِّدُونَ وَإِنَّكُمْ تُشْرِكُونَ، تَقُولُونَ مَا شَاءَ اللهُ وَشِئْتُ، وَتَقُولُونَ وَالْكَعْبَةِ - فنهاهم رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أن يقولوا: مَا شَاءَ

اللهُ وَشِئْتُ - وَأَمَرَهُمْ إِذَا أَرَادُوا أَنْ يَحْلِفُوا أَنْ يَقُولُوا: «**وَرَبِّ الْكَعْبَةِ وَيَقُولُ: أَحَدُهُمْ مَا شَاءَ اللهُ ثُمَّ شِئْتُ**»، وجاء بنحوه من حديث الطُّفَيْلِ بْنِ سَخْبَرَةَ رضي الله عنه، فنهاهم رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ عن الحلف بالكعبة مع أنها معظمة عند المسلمين، عظمها ربنا سبحانه وتعالى لكنها مع ذلك مخلوقة مربوبة لا يجوز الحلف بها.

والحلف لا يكون إلا بالله عز وجل ففي حديث عمر رضي الله عنه، عند الشيخين: أَنَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ سَمِعَ عُمَر رضي الله عنه وَهوَ يَحْلِفُ بِأَبِيهِ، فَقَالَ: «**أَلَا إِنَّ اللهَ عز وجل يَنْهَاكُمْ أَنْ تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ، فَمَنْ كَانَ حَالِفًا فَلْيَحْلِفْ بِاللهِ أَوْ لِيَصْمُتْ**»، قَالَ عُمَرُ: «فَوَاللهِ مَا حَلَفْتُ بِهَا مُنْذُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ نَهَى عَنْهَا ذَاكِرًا، وَلَا آثِرًا».

وفي حديث ابْنِ عُمَرَ عند الشيخين، أَنَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ قَالَ: «**مَنْ كَانَ حَالِفًا فَلَا يَحْلِفْ إِلَّا بِاللهِ**»، وَكَانَتْ قُرَيْشٌ تَحْلِفُ بِآبَائِهَا، فَقَالَ: «**لَا تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ**».

وفي حديث عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَمُرَةَ عند مسلم، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**لَا تَحْلِفُوا بِالطَّوَاغِي، وَلَا بِآبَائِكُمْ**»، والطواغيت هي: ما تعظم وتعبد من دون الله عز وجل.

وفي حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عند أبي داود: «**لَا تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ، وَلَا بِأُمَّهَاتِكُمْ، وَلَا بِالْأَنْدَادِ، وَلَا تَحْلِفُوا إِلَّا بِاللَّهِ، وَلَا تَحْلِفُوا بِاللَّهِ إِلَّا وَأَنْتُمْ**

صَادِقُونَ»، ففي الحديث النهي عن الحلف بالآباء والأمهات وما في معناهما من المخلوقين، ثم حصر الحلف وبين أنه لا يكون إلا بالله ﷻ.

ثم أمر من باب تعظيم الله ﷻ بأن لا يُحلف به كاذبًا، ولذلك جعل اليمين الغموس من أكبر الكبائر، ففي حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما، عند البخاري: «**الكَبَائِرُ: الإِشْرَاكُ بِاللَّهِ، وَعُقُوقُ الوَالِدَيْنِ، وَقَتْلُ النَّفْسِ، وَاليَمِينُ الغَمُوسُ**»، وفي حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه، قَالَ: «**مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ يَقْتَطِعُ بِهَا مَالَ امْرِئٍ مُسْلِمٍ، هُوَ عَلَيْهَا فَاجِرٌ، لَقِيَ اللَّهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضْبَانُ**»، أخرجاه في الصحيحين، ومع ذلك الحلف بالله كاذبًا مع أنه من الكبائر أهون من الحلف بغير الله صادقًا، لأن الحلف بغير الله ﷻ شرك، وقد تقدم أن الله لا يغفر الشرك.

فعن ابْنِ مَسْعُودٍ قال: « لِأَنْ أَحْلِفَ بِاللَّهِ كَاذِبًا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَحْلِفَ بِغَيْرِهِ صَادِقًا»، قال في فتح المجيد: ومعلوم أن الحلف بالله كاذبًا كبيرة من الكبائر؛ لكن الشرك أكبر من الكبائر وإن كان أصغر. اهـ.

وفي حديث بريدة عند أبي داود، وغيره: «**مَنْ حَلَفَ بِالْأَمَانَةِ فَلَيْسَ مِنَّا**»، فعلى المسلمين رجالًا ونساء، وجنًا وإنسًا، أن يراقبوا الله ﷻ فيما يعملون ويذرون، والحذر الحذر من مغبة المعاصي؛ لاسيما الوقيعة في الشرك بنوعيه الأصغر والأكبر، ولا يعتذر أحدهم بالأعذار الواهية التي لا تغني ولا تنفع، وليعود لسانه على النطق بما يقربه من الله ﷻ لا بما يُسخط الله ﷻ عليه، نسأل الله العافية.

النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بشر لا يجوز صرف شيء من العبادات له، من المعلوم أنه يجب أن يفرد الله بالعبادة؛ لا يشرك معه أحد غيره، لا نبيًا مرسلًا، ولا ملكًا مقربًا، ورسول الله ﷺ، يقول الله مخبرًا عنه: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾ [الكهف:١١٠]، وفي الحديث: «**إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ، أَنْسَى كَمَا تَنْسَوْنَ...**» ، وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ في الصحيح: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ، أَرْضَى كَمَا يَرْضَى الْبَشَرُ، وَأَغْضَبُ كَمَا يَغْضَبُ الْبَشَرُ...**»، ولما سجد له معاذ أنكر عليه، وقال: «**لَوْ كُنْتُ آمِرًا أَحَدًا أَنْ يَسْجُدَ لِأَحَدٍ لَأَمَرْتُ الْمَرْأَةَ أَنْ تَسْجُدَ لِزَوْجِهَا**»، أخرجه الترمذي، فعلى هذا، فمن يقول: (والنبي!)، أو (وحياة النبي!)، أو (وجاه النبي!)، أو غير ذلك من الألفاظ غير الشرعية؛ إما أن يكون حالفًا بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ تعظيمًا فهذا هو الشرك الأكبر الذي حذر الله ﷻ منه وتوعد عليه بالخلود في النار، وأما أن يحلف بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ على ما تعود عليه لسانه، فهذا شرك لفظي وهو من الشرك الأصغر يخشى عليه من معرته إن مات ولم يتب منه، فهو دائر بين ضلالتين ضلالة كبرى، وضلالة صغرى، هذا فيمن يحلف بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فما بالك بمن يحلف بغيره من المقبورين بل وربما يحلف بالله ﷻ كاذبًا إذا اسُتحلف؛ وإذا اسُتحلف بطاغوته لم يحلف به كاذبًا، فإلى الله المشتكى.

وإنما تكون طاعة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بموافقة شرعه، والتمسك بسنته ظاهرًا وباطنًا، أما ما خرج عن ذلك فليس بتعظيم وإنما هو من المخالفة؛ ولو كان الحلف برسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ من الأمور المندوحة لحلف به الصحابة في حياته وبعد موته، لكن هذا لم يحدث ولو كان خيرًا

لسبقونا إليه، قال الشيخ العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه «أركان الإسلام صحيفة» (١٦٠): الحلف بالنبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لا يجوز بل هو نوع من الشرك. اهـ.

بما يحلف إذن؟

للحالف أو المقسم أن يحلف بالله ﷻ وصفاته، وقد ورد عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ عدة أيمان لو لازمها المرء إذا احتاج لتوكيد أمر كان موفقًا ومسددًا في هذا الباب.

منها: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ**»، كان يحلف بها كثيرًا، وجاءت عن كثير من الصحابة في الصحيحين وغيرهما، وكذلك: «**لاَ. وَمُقَلِّبِ الْقُلُوبِ**»، جاء عن ابن عمر عند البخاري، وكذلك: «**وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ**»، وجاء عن عائشة في الصحيح أنها كانت تقول: «**وَرَبِّ مُحَمَّدٍ**»، «**وَرَبِّ إِبْرَاهِيمَ**»، وجاء: «**وَرَبِّ الْكَعْبَةِ**»، وجاء الحلف: «**وَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ**»، وكذلك «**وَاللَّهِ**»، وكذا «**وَالَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ**»، والحلف بالعزة في حديث أَبِي هُرَيْرَةَ في الصحيح، «**أن أيوب عَلَيْهِ السَّلاَمُ قَالَ: بَلَى وَعِزَّتِكَ**»، إلى غير ذلك من الأسماء والصفات قد استوعبنا ذلك بحمد الله في كتابنا «التبيان في أحكام الأيمان»، عجل الله طبعه.

قال العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «أركان الإسلام» (١٥٧): القسم بالشيء يدل على تعظيم ذلك المقسم به تعظيمًا خاصًا لدى المقسم، ولهذا لا يجوز لأحد أن يحلف إلا بالله تعالى بأحد أسمائه أو صفة من صفاته مثل أن يقول: والله لأفعلن؛ وربِّ الكعبة لأفعلن؛ وعزة الله لأفعلن؛ وما أشبه ذلك من صفات الله تعالى. اهـ.

حلف الله عَزَّوَجَلَّ بما شاء من مخلوقاته

لو قال قائل: كيف تقولون لا يحلف بغير الله ﷻ مع أن الله تعالى قد أقسم بكثير من مخلوقاته، وقال: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ۝١ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ۝٢ وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ ۝٣﴾ [الليل]، وقال: ﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢﴾ [الضحى]، وقال: ﴿وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا ۝١ وَٱلۡقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ۝٢ وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ۝٣﴾ [الشمس]، وقال: ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيۡتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢ وَهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ٱلۡأَمِينِ ۝٣﴾ [التين]، فالجواب: أن الله ﷻ له أن يُقسم بما شاء من مخلوقاته، ﴿لَا يُسۡـَٔلُ عَمَّا يَفۡعَلُ وَهُمۡ يُسۡـَٔلُونَ ۝٢٣﴾ [الأنبياء].

الإنكار على من حلف بغير الله عَزَّوَجَلَّ

قال الله تعالى: ﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِۗ﴾ [آل عمران:١١٠]، فخيرية هذه الأمة مقرون بإيمانها لربها ﷻ؛ وبتحقيق شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومن أسباب لعن الأمة الغضبية اليهود؛ والأمة الضالة النصارى؛ هو عدم تحقيقهم لهذا الركن العظيم، قَالَ تَعَالَى: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ۝٧٨ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ۝٧٩﴾ [المائدة].

وفي حديث أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عند الإمام مسلم: «**مَنْ رَأَى مِنكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ**»، وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أيضًا؛ أنه قال: «**لَا يَمْنَعَنَّ أَحَدَكُمْ هَيْبَةُ النَّاسِ أَنْ يَقُولَ فِي حَقٍّ إِذَا رَآهُ أَوْ شَهِدَهُ أَوْ سَمِعَهُ**».

وقد علم أن الحلف بغير الله عَزَّ وَجَلَّ ذنب عظيم دائر بين الشرك الأكبر والأصغر، وأنه من الذنوب التي إن مات عليها العبد لا تدخل تحت مشيئة الله عَزَّ وَجَلَّ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ **إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ١١٦** ﴾ [النساء]، وقد تقدم عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ الإنكار في هذا الباب سواء إنكاره على عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ أو عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أو على غيره من الصحابة.

قال العلاّمة ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «أركان الإسلام صحيفة» (١٥٩): فإذا سمع الإنسان شخصًا يحلف بالنبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أو بحياة شخص آخر فلينهه عن ذلك وليبين له أن هذا حرام ولا يجوز؛ ولكن ليكون نهيه وبيانه على وفق الحكمة حيث يكون باللطف واللين والإقبال على الشخص وهو يريد نصحه وانتشاله من هذا المُحرم. اهـ.

كفارة الحلف بغير الله عَزَّ وَجَلَّ

من رحمة الله عَزَّ وَجَلَّ بعباده أن جعل لهم مكفرات لذنوبهم ومخالفاتهم الشرعية ومن هذه المكفرات؛ التوبة النصوح إلى الله عَزَّ وَجَلَّ وشروطها في هذا الباب:

أ- الإقلاع عن الحلف بالمخلوق.

ب- العزم على عدم العود.

ث- الندم على الحلف بغير الله ﷻ.

وزد على ذلك ما ثبت في الصحيحين من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عند الشيخين، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**مَنْ حَلَفَ فَقَالَ فِي حَلِفِهِ: وَاللَّاتِ وَالعُزَّى، فَلْيَقُلْ: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَمَنْ قَالَ لِصَاحِبِهِ: تَعَالَ أُقَامِرْكَ، فَلْيَتَصَدَّقْ**».

أهمية تصحيح الألفاظ

قد تقدم إنكار النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ على من تلفظ ببعض الألفاظ المخالفة لشريعة الله ﷻ كإنكاره عليهم لما قالوا: «مَا شَاءَ اللَّهُ، وَشَاءَ مُحَمَّدٌ»، ولما سمع بعض النساء في بعض الأعراس تقول: «وَفِينَا نَبِيٌّ يَعْلَمُ مَا فِي غَدٍ» أنكر عليها قولها هذا، ولما سمع من يقول: يَا سَيِّدَنَا، وَابْنَ سَيِّدِنَا، وَيَا خَيْرَنَا، وَابْنَ خَيْرِنَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ، قُولُوا بِقَوْلِكُمْ وَلَا يَسْتَهْوِيَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ، أَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، وَرَسُولُ اللَّهِ، وَاللَّهِ، مَا أُحِبُّ أَنْ تَرْفَعُونِي فَوْقَ مَا رَفَعَنِي اللَّهُ**»، ولما سمع من يقول: اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي وَمُحَمَّدًا، وَلاَ تَرْحَمْ مَعَنَا أَحَدًا. قَالَ: «**لَقَدْ حَجَّرْتَ وَاسِعًا**»، إلى غير ذلك مما لو توسعنا لطال المقام ولخرجنا عن الموضوع.

قال العلاَّمة العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «أركان الإسلام صحيفة» (١٩٠-٩١) في جوابه عن سؤال: قول بعض الناس إن تصحيح الألفاظ غير مهم مع سلامة القلب؟

فأجاب: إن أراد بتصحيح الألفاظ وإجراءها على اللغة العربية فهذا صحيح أنه لا يهم من جهة سلامة العقيدة أن تكون الألفاظ جارية على اللغة العربية ما دام المعنى مفهومًا وسليمًا، أما إذا أراد بتصحيح الألفاظ ترك الألفاظ التي تدل على الكفر والشرك فكلامه غير صحيح بل تصحيحها مهم ولا يمكن أن تقول للإنسان أطلق لسانك في قول كل شيء ما دامت النية صحيحة بل نقول الكلمات مقيدة بما جاءت به الشريعة الإسلامية. اهـ.

وكتب

أبو محمد عبد الحميد بن يحيى بن زيد الحجوري الزعكري

القاهرة الموافق ١٠/ربيع ثاني/١٤٣٠ هـ